الاشتراكية و الاسلام

مقارنة بين

الأستاذ خورشيد أحمد - ايم - اے
«معرب»

هل يمكن التفاهم بين الاسلام و الاشتراكية ؟ و هل يمكن أن يجتمعا فى مكان واحد و على مبدء واحد فيتعاون الواحد مع الآخر ؟ و إذا تيسر هذا الاجتماع بينهما فهل يكون له فائدة ؟ ؟

هذه هى الأسئلة التى تدور فى خلد كل شخص يريد أن يقارن بين الاسلام و الاشتراكية ، فيجب أن نرد عليها بايجاز و نشير الى بعض النواحى البارزة التى تفرق بينهما .

الاسلام	الاشتراكية
(١) الاسلام يحارب النظرة المادية للحياة و يثور عليها ، إنه يدعو الانسانية إلى المنهج الذى جاء به الأنبياء عليهم الصلاة و السلام .	(١) الاشتراكية نتيجة الحضارة المادية للغرب . وهى تنادى بالنظرة المادية للحياة و تقوم بتنفيذها فى المجتمع . ولا صلة لها بالمنهج الذى جاء به الأنبياء و الرسل عليهم الصلاة و السلام .

الاسلام	الاشتراكية
(٢) إن عقيدة التوحيد حقيقة أساسية مهمة فى نظر الاسلام ، فان الايمان بوجود الله ، ووحدانيته و حاكميته و ربوبيته ، كلها حقائق يقوم عليها نظام الاسلام الاجتماعى والانفرادى الذى يهدف إلى عبادة الله وحده .	(٢) الاشتراكية ترفض وجود الله تعالى وتحل المادة المحل الأول و تعتبرها أقدم من كل شئ ، انها لا تؤمن بوجود قوة خارقة وراء الطبيعة ، تسمح بأى تأثير لها فى نظامها الذى تضعه للحياة .
(٣) وجهة نظر الاسلام الأساسية هى الأخلاق ، إنه يزن كل قول و عمل فى ميزان الخير و الشر الذى قرره الله فى شريعته ، و قبله الضمير الاجتماعى للانسانية جماعياً .	(٣) و ترى الاشتراكية أن الأخلاق نتاج ظروف طبقية خاصة فلاتعترف بقيم مستقلة ، إنها تنظر إلى كل شئ بمنظار الصراع الطبقى، إنها لاتقيم للقيم الخلقية وزناً ما فضلا عن أن نعترف بأوليتها و تفوقها ، الأخلاق شئ نسبى فى نظرها وحسب .
(٤) الطريق الصحيح للحياة مقرر من قبل الخالق الحقيقى فى نظر الاسلام ، والدين هوالطريق، ولكن لا يمكن العثور على تفاصيله اعتماداً على مجرد العقل و التجارب فان ذلك ما تبينه الشريعة التى هى	(٤) إن العقل هو المقياس الأول للتمييز بين الخير و الشر ، و لا يحتاج إلى أى هداية من الخارج ، ثم إن الدين إنما هو أفيون الشعوب ، الذى يوجه الانسان إلى الفرار عن مواجهة

الاسلام	الاشتراكية
مقياس كل خير و شر وحسن و قبح ، و معنى ذلك أن حياة السعادة و النجاح هى ما يوجه إليه الدين ، و تحكم الشريعة فى أمور الحياة كلها سواء كانت إجتماعية أو فردية ، اقتصادية أو سياسية أو إجتماعية ، أوكانت تتعلق بالحرب أو السلم أو كانت لها علاقة بالأمور الداخلية أو الخارجية ، فان الحيد عن هذا الطريق إنما يؤدى إلى ضلال الدنيا و خسارة الآخرة .	الحقائق و يحث على النفعية والانتهازية ، ويصبح آلة الاستغلال للطبقات المسخرة ، إنه يعلم الاقتناع بالظلم ، و الصبر على الحرمان ، و يحرس على سلامة نظام انتاجى خاص ، و يحتفظ بمنافع خاصة بعد ما يميت الضمير الانسانى . و لذلك لا يرجى أى سعادة أو صلاح من غير القضاء عليه بتاتاً .
(٥) يعترف الاسلام بمكانة الفرد ، و يحدب على حقوقه الأساسية ، و هو يدعم النظام الاجتماعى ، و لكن لا بنفى الفرد و غمط حقوقه بل بتوفير جميع تسهيلات التقدم و النمو له ، ثم إن الفرد هو المسئول عنه فى الآخرة .	(٥) تعتبر الاشتراكية الفرد جزءاً من الاجتماع ، فتستوجب عليه العمل للنفع الاجتماعى ، لأن النفع الاجتماعى يسيطر على النظام الاشتراكى بحيث يذوب الفرد أمامه ، و لا تبقى له مكانة ما .

الاسلام	الاشتراكية
(٦) المنهج الذى ينتهجه الاسلام للاصلاح و التربية هو أنه يصلح إيمان الفرد بالله ، قبل كل شئ ، ثم يحدث فيه تغييرات عن طريق التربية والتوجيه ، ثم يصلح النظام الاجتماعى بالقوة التى تحصل له عن طريق إصلاح الأفراد ، و لكنه يتحاشى كل التحاشى من تسليط نظرته على الناس مكرهين أومجبرين كما أنه لايعتقد بأن مجرد اصلاح المجتمع يتكفل إصلاح الفرد ، وإنما يرى أن إصلاح الفرد والمجتمع يجب فى وقت واحد ، وما لم يتغير باطن الفرد لايتغير خارجه ، و من هنا يوجه الاسلام إلى استخدام الوسائل المباحة فى هذا المجال و يتوخى إخضاع الانسان لأمر الله و طاعته تدريجياً .	(٦) تحارب الاشتراكية طرق الاصلاح و التربية كلها ، و تدعو إلى الثورات الدامية ، إنها تفضل طرق الاجبار والاكراه على طرق التوجيه و التربية ، إن أفضل طريق فى نظرها لتغيير الفرد و إصلاحه إنما هو تغيير النظام الاجتماعى ، فاذا تغير الاجتماع تغير الفرد لا محالة . و يرى زعماؤها الأقطاب أن طريق الاصلاح تدريجياً لا جدوى فيه و لا فائدة ، و إنما الأصل هو الخطوة الثورية ليس غير .
(٧) يعتبر الاسلام الدولة والقانون من أهم ضرورات الحياة	(٧) أما الاشتراكية فانها تعتبر الدولة و القانون آلتين للظلم

الاسلام

الاجتماعية ، و يخضعها لخدمة الاسلام ، كما أنه لا يتغاضى الطرف عن منح حرية الرأى و الضمير فى إقامة الحكم ، على أساس الشريعة للحفاظ على السياسة الحقيقية ، و العدالة الاقتصادية و الحقوق و الآداب ، و قد سبق للاسلام حكم عادل وفق الشريعة الغراء .

(٨) و فى المحيط الاجتماعى يدعو الاسلام إلى الحفاظ على نظام العفة فى الأسرة ، والمساواة الانسانية ، و الأخوة والتعاون ، و التضامن الاجتماعى ، كما أن نظامه الاجتماعى كله يقوم على أساس القيم التى بينها الكتاب والسنة ، وهو يؤسس تلك الحضارة التى تتبنى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر .

الاشتراكية

و الاضطهاد و الاستغلال ، إنها تريد استخدام هذه القوة فى الفترة الانتقالية للقضاء على طبقة معينة ، وهى تزعم أن قيام المجتمع الأمثل لا يمكن إلا بالقضاء على الدولة والقانون إن نظامها الذى تدعيه لا يقوم على المساواة ولا على حكم القانون ، و لا على الديموقراطية السياسية و الاجتماعية

٨) تؤكد الاشتراكية أن النزاع الطبقى و الصراع أهم حقيقة فى الحياة ، أما نظام الأسرة فانه جزء من الملكية الفردية فى نظرها فلا بد من أن يلقى حتفه على بساط الاشتراكية . وأولاد الرجل ثروة المجتمع لا يملكهم الوالدان ، و القيم كلها تقرر فى ضوء التقسيم الطبقى و لا محيص عنه لأى قيمة من القيم

الاسلام

(٩) يسمح الاسلام بالملكية الفردية فى المجال الاقتصادى وممارسة الحرية والسعى والتعامل التجارى ، و لكنه يعتبر الثروة أمانة فيحدد استعمالها ، و يعين فيها حقوق الفرد والمجتمع والله ، التى لا تتزكى الثروة بدون أدائها ، إنه يستعمل الحياة الاقتصادية بأجمعها لتحقيق العدالة ، فلا يقدم المصالح الاقتصادية وحدها على المصالح الأخلاقية و الاجتماعية فى أى لحظة .

الاشتراكية

(٩) إن الوضع الاقتصادى الأساسى الذى ينشأ بملكية وسائل الانتاج تعتبره الاشتراكية قوتها الأصيلة ، و تعتقد تأميمها علاجا لكل مشكلة ، إن نظامها الاقتصادى لا يميز بين الحلال و الحرام ، و لا يعرف فكرتهما ، و إنما الجبر و الاكراه ميزته البارزة ، انه يريد أن يقضى بذلك على طبقة قضاء باتاً ، غير أن نشاطه الذى يبذله فى هذا المجال إنما يخلق طبقة أدهى و أمر من طبقة الرأسماليين .

كذلك فكرة الاسلام و الاشتراكية حول الانسان و التاريخ ، و نظرية الخير و الشر ، و مفهوم القانون و العدل ، و النظرة القومية ، ومبادىء العلاقات الدولية لا تختلف بعضها عن بعض فحسب بل تتصادم بعضها مع بعض ، وتختلف طرقها ، وغاياتها وطبيعتها كل الاختلاف ، و المجتمع و الاقتصاد الذى يريد كل منهما إقامته يتعارضان فيما بينهما تعارضاً فاحشاً ، فليس من المعقول إذن أن نتربص قيام مجتمع بالجمع

بينهما و مشاركة و احد منهما مع الآخر . و البون بين الاسلام و الاشتراكية مثل ما بين الاسلام و الالحاد . أو الاسلام والرأسمالية الغربية . فليقم دعاة الاسلام ليعلنوا فى وجه دعاة الاشتراكية قائلين « لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد . ، لا أنا عابد ما عبدتم و لا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين »

و بهذه المناسبة لابد بمزيد من إيضاحين .

أولا : أن هناك طائفة من الناس تقول : إن زيادة فكرة الاله فى الاشتراكية تجعلها يتفق مع الاسلام ، و لكن هذا القول لا يخلو من سياسة و مكر ، وذلك لأن النظام الاشتراكى بأجمعه لايتسع لفكرة الاله فى أى حين ، أما الاعتراف بفكرة الآله ووجوده يمنح الانسان نظاماً كاملا يشتمل الحياة الفردية و الاجتماعية و يعارض النظام الذى تقدمه الاشتراكية فى كل خطوة ، إن كلاماً مثل هذا نتيجة لسوء الفهم أو الجهل و الزيغ أو نوع من السياسة الماكرة .

ثانياً : يقول بعض الناس إنه لا باس أن نقتبس من الاشتراكية برنامجها الاقتصادى و نضمه إلى نظامنا الاسلامى ، و هذا القول لا يقل سخافة وضعفاً من الأول . فالكل يعلم أن الاقتصاد فى النظام الاشتراكى لا يمكن فصله من فلسفتها المادية و اجتماعيتها التى تدعيها ، فاذا فصل الاقتصاد منهما لن يبقى هناك برنامج إيجابى للاقتصاد ، ثم إن الروح التى تهيمن على نظامها الاقتصادى والعقلية التى يتطلبها لتنفيذه فى المجتمع إنما هى روح و عقلية لا تتفقان مع طبيعة الاسلام ، و وجهة نظره الأساسية و منهجه و نظام تربيته ، بالاضافة إلى أن للاسلام نظاماً

إقتصادياً مستقلا يستغنى عن الاقتباس و الاستعارة من النظم الأخرى، ويتصل بفلسفته الخاصة للحياة ومدنيته الخاصة ، و لا يمكن فى أى حال ترقيع النظام الاسلامى للحياة ببرنامج إقتصادى لنظام يتعارض معه ويتصادم مع طبيعته ، فان هذه العملية ستفسد على كل منهما ولا ترجع بأى طائل .

و لذلك فان هـذا النوع من التفكير ، تفكير الجمع و التركيب بينهما لايصح أبداً ، بل يجب أن ندرس ذلك الطريق الذى سلكه هذان النظامان لحل مشكلات الحياة ، فاذا كان الطريق الذى اختارته الاشتراكية مما لايسعنا قبوله ، فما هو طريق الاسلام فى ذلك ولماذا يفوق على جميع النظم الأخرى ؟